قصَّة أيوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ أعِنْ

نبيُّ الله أيُّوب مثالاً يحتذى بالصبر. وهو أيُّوب بن أموص بن أروم.

وقد بالغ الكثيرون في ضُرّ أيُّوب، وإنَّما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب «في السفر المسمَّى: سفر أيُّوب».

وما يهمُّنا هنا هو ما ذكره القرآن الكريم، لا ما أدخله الكثيرون من الإسرائيليات فيما ورد عنه من أخبار.

ما قصَّة هذا النبيِّ؟ وما أورد القرآن الكريم بشأنه؟!

النعم عند أيُّوب:

تمتَّع نبيُّ الله أيُّوب بنعم كثيرة أنعمها الله عليه. فكان ذا مال وفير يشمل الأراضي والممتلكات والدوابَّ والمواشي الكثيرة إلخ..

كما تمتَّع بالصحة والعافية والشباب، إضافة إلى زوجة حسنة الخَلْق والخُلُق، فأنجبت له البنين والبنات.

وكان أيُّوب كثير الشكر لله، عطوفاً على الفقراء والمساكين، محبًّا للخير على وجوهه.

امتحان أيُّوب:

بعد هذه النعم التي تقلَّب بها أيُّوب، شاء الرحمٰن أن يمتحن عبده، بفقد النعم التي تقلَّب فيها زمناً.

فذهب ماله بعد أن هجم الفقر وأطاح بالزرع والماشية، فزال الثراء العريض الذي كان يتمتَّع به، وخيَّم عليه شبح الفقر.

ولكن أيُّوب كان مثالاً يحتذى بالصبر، فكان شديد الشكر لله على ما أعطى وعلى ما أخذ، وكان شكره في الضرَّاء كما كان في السرَّاء.

ولم يكن صبر أيُّوب ليقف عند هذا الحد؛ بل شاء الله أن يمتحنه أيضاً بفقد أولاده كلِّهم، فماتوا كلهم ولم يبق منهم أحد.

هنا هل توقف أيُّوب عن شكره لله؟!

بالطبع لا، فقد اشتدَّ شكره لله، وصبر على ما أَلَمَّ به من فقد الولد، حتى صار مثالاً يحتذى بالصبر على المكاره، يعينه في ذلك شدَّة إيمانه ويقينه بربِّه أنَّ هذا امتحان لصبره وقوة عزيمته على الإيمان.

بعد هذا العناء من فقد المال والولد، كان هناك نوع آخر من الابتلاء وهو المرض الجسماني غير المنفر حتى لا ينصرف الناس عن الإيمان به واتِّباع دعوته.

ولكنه لم يعد يَقْوَ على الخروج لطلب الرزق. وبقي شاكراً لله، طالباً معونته على مدِّه بالصبر. وصار مضرب المثل حتى إنَّ القرآن الكريم قال فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: 44].

اليمين التي حلفها أيُّوب:

بعد أن فقد أيُّوب المال والولد والصحة هجره الناس، ولم يبق من يقوم بخدمته ويسهر على حاجاته سوى امرأته الصابرة، التي لم تتركه، وكانت خير معين له.

وفي يوم من الأيام ذهبت امرأته في بعض شأنها، تريد أن تحضر لنفسها ولزوجها بعض الطعام، ولما لم تجد ما تشتري به ما تريد، وكان الجوع والتعب قد أخذ بها كل مأخذ، فكرت بطريقة تستطيع من خلالها أن تأتي بالطعام.

فعمدت إلى رأسها المغطى بخمار، وقصت ضفائر شعرها الذي تعتزُّ به كثيراً، وباعته لإحدى بنات الأشراف، واشترت بثمنه طعاماً لها ولزوجها.

وطال غيابها عن زوجها أيُّوب وحلف لئن شفاه الله من مرضه ليضربها مائة ضربة.

ولما وصلت إلى البيت وأتت زوجها بالطعام الطيِّب نكره عليها وظنَّ بها سوءاً.

فما كان منها إلا أن بيَّنت له أنَّ الطعام حلال. وكشفت خمار رأسها وأرت زوجها شعرها القصير.

هنا توجَّع أيُّوب في نفسه، وشعر بشعور لا يعلمه إلا الله، وطلب من الله العون على شفائه، بعدما اضطرت امرأته أن تبيع شعرها مقابل الطعام. فكان الوقع عليه أشدَّ من وقع الرماح والخناجر في جسم الإنسان، وأشدَّ عليه من وطأة المرض الذي أفقده الحراك. فتوجَّه إلى ربِّه بالدعاء.

الأدب مع الله:

في خضم تلك المعاناة التي ألَمَّت بنبيِّ الله أيُّوب وصبره على فقد المال والصحة والولد. لم ينس الأدب مع الله في الخطاب. فعاد بالضرُّ

على نفسه، وبالرحمة يطلبها من أرحم الراحمين ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ[1] وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83].

وانظر إلى أدبه مع ربِّه في الدعاء بعد أن نسب ما يعانيه إلى الشيطان، لأنه يمثل الشر ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [صّ: 41].

كشف الضرِّ عن أيُّوب:

بعد هذا المصاب الذي ألمَّ بعبد الله أيُّوب وصبره الطويل على ما أصابه، وطلبه من ربِّه أن يكشف عنه البلاء. استجاب لدعائه أرحم الراحمين. وأمره أن يضرب برجله الأرض في المكان الذي كان يجلس فيه، وسيخرج من هذا المكان عين ماء. كما أمره أن يغتسل من هذا الماء المبارك، ويشرب منه فيشفى بإذن الله تعالى وتعود له عافيته.

وما إن ضرب برجله الأرض حتى نبعت من الأرض عين ماء صافية بإذن الله، فاغتسل منها وشرب، وما هي إلا لحظات حتى استعاد أيُّوب عافيته.

وبعد قليل مرَّت زوجته تريد أن تقوم بخدمته كعادتها، فذهبت إلى حيث تركته فلم تجده، ولكنها رأت رجلا قويًّا شديداً معافًى، لم تعرفه!

وسألته: هل رأيت رجلاً كان في هذا المكان من سِمَتِهِ كذا وكذا؟!

فضحك أيُّوب من قولها، ولما ضحك عرفته من ابتسامته. وقصَّ عليها ما كان من أمره، فضحكت وحمدت الله على شفائه.

وهنا استحقَّ يمين أيوب بأن يضرب امرأته إن شفي. وها هو يتمتَّع

(1) الضرُّ: الضرر في كل شيء.

بصحة وقوة. ولكن الله أبى أن تضرب هذه المرأة الصابرة التي رافقته في فترة بلائه الطويل. وأراد له أن يبرَّ بقسمه، فكان المخرج: بأن أمره الله بجمع باقة من الحشيش أو الريحان عددها مائة ويضرب بها زوجته ضربة واحدة.

بعد ذلك عاد أيُّوب معافى وذهب برفقة زوجته الصابرة، وعوضه الله عن أولاده الذين فقدهم بأولاد آخرين من البنين والبنات، وأكثر من ذريته بالأحفاد أيضاً. واستعاد مكانته في قومه. كيف لا وهو النبيُّ الصابر الذي صار مضرب الأمثال، وذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع؟.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا[1] فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ[2] إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ[3] ﴿٤٤﴾﴾ [صّ: 41 - 44].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ[4] رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ[5] ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: 83 - 84].

(1) الضغث: وهو الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو ما شابه.
(2) ولا تحنث أي: لا تقع بالذنب بعدم تنفيذ اليمين الذي حلفته.
(3) أوّاب: كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة.
(4) وآتيناه أهله ومثلهم معهم: أعطيناه مثل أهله مع زيادة بالتوالد.
(5) وذكرى للعابدين: تذكرة للعابدين ليصبروا مثل صبره، واحتساب الأجر عند الله.

العبر من قصة أيُّوب:

يؤخذ من قصة أيُّوب عدَّة عبر منها:

1 - الصبر عاقبته محمودة في كل الأحوال.

2 - الله وحده يجيب دعاء المضطر ويكشف السوء.

3 - خفَّف الله عن امرأة أيوب، فشرع له أن يضربها ضربة واحدة في حزمة من مئة عود، رحمةً بها. وتوسَّع بعض العلماء في هذا، وأجازوا الحيل الشرعية. لكنَّها قضية خاصَّة، لا يقاس عليها ولا يلحق بها.

4 - الرضى بقضاء الله وقدره، مع الدعاء لله وشكره في كل حين، كما كان من شكر أيُّوب لربِّه في السرَّاء والضرَّاء.